الفصل الثانى

أثر النبر فى حدوث اللحن

أثر النبر فى حدوث اللحن

يراد بالنبر (Accent) : الضغط على أحد المقاطع ، بحيث يتميز عن غيره من مقاطع الكلمة ، ويزداد وضوحاً فى السمع .

هذا الضغط يبرز الصوت ، وهذا البروز يتحقق عند ما يكون الصوت أوضح ، وأطول ، وأعلى ، ومتميزاً من حيث الدرجة ، والنبر يرجع فى أغلب الأحوال إلى ارتباط اثنين أو أكثر من هذه العوامل (١) .

ومعنى ارتباط النبر بطول الصوت أنه إذا انتقل عن موضعه ، صحبه — غالباً — إطالة صوت اللين القصير (٢) .

وعلى هذه الحقيقة نبنى تفسيرنا لحدوث اللحن فى عدة حالات وردت فى الكتب التى بين أيدينا ، ويمكن إدراجها فى ظاهرتين هما :

١ — إطالة صوت اللين فى مثل: عَرْعَار ، ولُوبان ، وطِيحال ، فى : عرعر ، ولُبان ، وطِحال .

٢ — تشديد الصوت المخفف فى بعض المواقع ، مثل: دِيَّة ، وقَرقَلٌ ، بدل : دِيَة وقَرْقَل . وفيما يلى تفسير ذلك :

أولا — إطالة صوت اللين :

اشترك الزبيدى وابن مكى فى إيراد أمثلة للحن عامة الأندلس ، وعامة

---

(١) علم اللغة للدكتور محمود السعران : ٢٠٦

(٢) فى اللهجات العربية : ١٣٩ وعلم اللغة : ٢٦٠

صقلية ، تمكنت من جمعها تحت ظاهرة واحدة، هي إطالة صوت اللين : الضمة بحيث تصبح واو مد ، والكسرة بحيث تصبح ياء مد . والفتحة بحيث تصبح ألف مد .

فقد قالوا : لُوبان ، وعربى قُوح ، وعُوش الطائر ، وبُرنُوس ، بدل : لُبان ، وقُحّ ، وعُشّ ، وبُرْنُس ، فأطالوا الضمة .

وقالوا : طِيراز ، وتِيلاد ، وإيكاف ، وثِيمار ، وقِيران ، وطِيحال ، بدل : طِراز ، وتِلاد ، وإكاف ، وثِمار ، وقِران ، وطِحال ، فأطالوا الكسرة .

وقالوا : عَرْعار ، وبَرْواق ، وطَوال الدابة ، وسرْ فى داعة الله ، وأنت فى حلّ وساعة ، بدل : عَرعر ، وبَرْوق ، وطَوَل ، ودَعَة ، وسَعة ، فأطالوا الفتحة .

وهذه الإطالة لها نظير رواه اللغويون ، فقد حكى ابن سيده قول بعض العرب فى القَرَنْفُل : القرنفول ، وقال : الواو مقحمة للضمة كالواو فى قوله : أنا أنظور إليك (٣) . وهو ما سماه ابن جنى « مطل الحركات » وبينه بقوله : « وإذا فعلت العرب ذلك أنشأت عن الحركة الحرف من جنسها ، فتنشىء بعد الفتحة الألف ، وبعد الكسرة الياء ، وبعد الضمة الواو » (٤) وسماه ابن فارس « البسط فى الأسماء والأفعال » ، وقال : لعل ذلك لإقامة وزن الشعر وتسوية قوافيه (٥) . وتفسير ابن فارس ينقضه وقوهم : أنا أنظور إليك ، فى النثر .

ومن الشواهد على إطالة الفتحة :

---

(٣) المخصص : ١١ ــ ١٩٦
(٤) الخصائص : ٣ ــ ١٢١
(٥) الصاحبى : ٣ ــ ١٢١

• أقول إذ خرَّت على الكَلْكَالِ (٦) •

يريد : الكلاكل .

ومن الشواهد على إطالة الكسرة :

• لا عَهْـد لى بنيضـــالْ (٧) •

يريد : بنضال .

وقول امرىء القيس :

كأنى بفَتْخـاءِ الجنـاحَيْنِ لَقْـوَةٍ
على عَجَلٍ منى أطأطىءُ شِيمـالى (٨)

يريد : شمالى .

ومن الشواهد على إطالة الضمة :

وأنى حيث مـا يَشْـرِى الهوى بصرى
من حيث مـا سَلَكوا أدنو فأنظُورُ (٩)

يريد : فأنظر .

على أن الذى يعنينا الآن هو : كيف أثَّر النبر فى إطالة صوت اللين فيما سبق من أمثلة اللحن ؟ .

إن كلمة لُوبان أصلها : لُبان ، فهى مكونة من المقاطع الآتية :

مقطع قصير مفتوح (لُ) + مقطع متوسط مفتوح (با) + مقطع متوسط مغلق (نْ) (١٠) .

---

(٦) الانصاف فى مسائل الخلاف : ٣١٧

(٧) المصدر السابق .

(٨) شرح القصائد السبع : ٣٣٢

(٩) الخصائص : ٣/١٢٤ والصاحبى : ٥٠ وفيه يثنى الهوى ..

(١٠) المقطع القصير المفتوح هو المكون من : صوت ساكن + صوت لين قصير مثل (م) . والمقطع المتوسط المفتوح هو المكون من صوت ساكن + صوت لين طويل مثل (ما) ، والمقطع المتوسط المغلق هو المكون من :صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن ، مثل (من) .

وسيأتى شرح المقطع الطويل المغلق فى صفحة : ٣١٥ .

ومقتضى قواعد النبر فى اللغة العربية (١١) أن يقع النبر على المقطع قبل الأخير وهو الشائع فى مثل التركيب المقطعى السابق ، أى أن النبر هنا على المقطع (با) وعلى المقطع المقابل له فى الكلمات المشتركة فى هذا التركيب ، وهى : طِرازٌ ، وتلادٌ ، وإكافٌ ، وثمارٌ ، وقِرانٌ ، وطِحالٌ ، وقَتولٌ ، وجَرُوفٌ ، وبَعرضٌ ، وغَسُولٌ .

وقد اقتضى الوقف على الكلمة بالسكون ، أو حذف حركة الإعراب ، أن تتغير مقاطع الكلمة فتصبح مكونة من مقطعين اثنين بدل ثلاثة ، وهما :

مقطع قصير مفتوح (لُ) + مقطع طويل مغلق (بانْ) . وفى هذا التركيب المقطعى الجديد ، إما أن يقع النبر على المقطع (بانْ) كما كان على (با) من قبل ، أو ينتقل إلى المقطع السابق وهو (لُ) ، ويبدو أنه انتقل إلى المقطع قبل الأخير أى (لُ) .

وقد لحظ المحدثون فى مقارناتهم اللغوية ، ودراساتهم لتطور الأصوات أن لانتقال النبر أثرًا بيناً فيما قد يصيب أصواتها من تطور (١٢) ومن هذا التطور طول الصوت اللغوى (١٣) فالطول الطارىء مرتبط — غالباً — بالمقطع المنبور .

أى أن النبر لما انتقل إلى المقطع (لُ) أثّر فى تطويله فأصبح (لُو) . ويبدو أن أهل الأندلس وصقلية كانوا يقصرون المقطع الأخير أى يقصرون الألف فى المقطع (بان) والمقاطع الأخرى المقابلة له .

---

(١١) هذه القواعد استخلصها الأستاذ الدكتور ابراهيم أنيس من قراءة المجيدين للقرءات القرآنية فى العصر الحاضر — راجع الأصوات اللغوية ١١٨ — ١٢٣ وراجع أيضا : علم اللغة للدكتور محمود السعران : ٢٠٦ ومناهج البحث فى اللغة للدكتور تمام حسان : ١٦٠

(١٢) الأصوات اللغوية : للدكتور ابراهيم أنيس : ١٨٦

(١٣) علم اللغة للدكتور محمود السعران : ٢١٠

ويطبق هذا التفسير على الكلمات التى أوردناها فيما سبق ، وهى مماثلة فى التركيب المقطعى .

وهذا مثال آخر : قول عامة صقلية : بُرنُوس .

أصل الكلمة : بُرْنُسٌ ، فهى مكونة من المقاطع الآتية :

مقطع متوسط مغلق (بُرْ) +مقطع قصير مفتوح (نُ) + مقطع متوسط مغلق (سٌ) . ووفقاً لقواعد النبر فى اللغة العربية ، يقع النبر على المقطع قبل الأخير ، أى (نُ) . وبعد حذف التنوين ثم تسكين آخر الكلمة أصبحت الكلمة مكونة من مقطعين وهما : بُرْ + نُسْ .

ونتيجة للتطور الجديد ، إما أن يبقى النبر فى موضعه على (نُسْ) ، وإما أن ينتقل إلى المقطع الأول ويقع على (بر) ، ويبدو أن النبر هنا لم ينتقل عن موضعه ، أى أنه وقع على المقطع الأخير فى الكلمة . ولكن النبر على المقطع الأخير فى اللغة العربية لا يكون إلا فى نوعين من المقاطع :

١ — مقطع طويل مغلق ، أى مكون من : صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن ، مثل (عينْ) فى الفعل « نستعينْ » فى حالة الوقف .

٢ — مقطع طويل مزدوج الإغلاق ، أى مكون من صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن +صوت ساكن ، مثل (قَرّْ) فى « المستقر » فى حالة الوقف .

ومقتضى هذا أن تكون الكلمة السابقة : « برنوس » ليكون المقطع الأخير مثل (عين) أو برنسٌ ، ليكون مثل (قر) . ويدل وصف اللحن الذى حدث فى الكلمة على أنها آثرت الحالة الأولى ، أعنى : برنوس .

ويطبق هذا التفسير على الكلمات المماثلة لبرنس من الناحية المقطعية .

وهى قول عامة الأندلس وصقلية : عَرْعار ، وبرواق . فأصل هاتين الكلمتين : عرعر وبَرَوق ، فحدث فيهما من النبر ما حدث فى : بُرْنُس .

وهذا مثال ثالث لتركيب مقطعى آخر :

يقول عامة الأندلس وصقلية : عُوش الطائر ، وعربى قُوح ، والأصل : عُشٌّ ، وقُحٌّ ، ولنحلل كلمة : عش ، فهى مكونة من مقطعين متوسطين مغلقين هما : عُشْ — شْ .

فالنبر هنا على المقطع قبل الأخير ، أى عُشْ .

وقد اقتضى حذف التنوين وتسكين آخر الكلمة أن تصبح الكلمة مكونة من مقطع واحد مزدوج الإغلاق (صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن + صوت ساكن) ، هذا المقطع هو عُشْ . ولا يكون النبر إلا عليه بالضرورة . ويبدو أن مسلك اللهجة قد مال إلى أن تكون هذه الكلمة مقطعاً من النوع الطويل المغلق مثل (عين) فتطورت إلى عُوش . ومثلها قُوحْ فى قُحّ . وهذا التطور شبيه بما حدث فى اللهجات الحديثة فى فعل الأمر من الأجوف مثل : راح ، وعاش ، وبات . حيث يقال فيها :

رُوحْ ، عِيشْ ، باتْ .

والمثال الرابع : قول عامة صقلية : أنت فى حِلّ وساعة بدل : سَعَة ، ومثلها داعة ، أى دَعَة .

فكلمة سعة مكونة من :

مقطع قصير مفتوح (سَ) + مقطع قصير مفتوح (عَ) + مقطع متوسط مغلق (هْ) .

ومقتضى قواعد النبر فى اللغة العربية أن يقع على المقطع الأول أعنى (س) وبعد التطور الذى حدث فى الكلمة نتيجة لحذف التنوين وتسكين الآخر ،

أصبحت الكلمة مكونة من مقطعين هما :

مقطع قصير مفتوح (سَ) + مقطع متوسط مغلق (عَهْ) . وقد بقى النبر فى موضعه على المقطع (س) لأنه إذا انتقل إلى المقطع الأخير فإما أن يكون (عَهَّ) أو (عاهْ) وبقاء النبر فى موضعه بعد حذف أحد مقاطع الكلمة يترتب عليه طول الصوت المنبور أى يصير : « ساعة » كما وصفت لنا الكلمة فى « تثقيف اللسان » ومثلها « داعة » أى دعة .

هذا هو التفسير الذى نرجحه لحدوث اللحن بطول بعض أصوات اللين ، عند أهل الأندلس وصقلية .

ثانياً — التشديد :

الظاهرة الثانية التى يمكن تفسيرها فى ضوء ظاهرة النبر ، وتغير موضعه أو بقائه فيه ، بعد التطور المقطعى فى الكلمة — هى تشديد بعض الكلمات التى رويت مخففة فى اللغة العربية ، مما جعل أصحاب حركة تنقية اللغة يعدون تشديدها لحناً .

ونستأنس لهذه المحاولة بما قاله اللغويون من الربط بين تقصير بنية الكلمة والتشديد . وتطويل البنية والتخفيف ، فهم يقولون مثلاً : « المِرْعِزَّى والمِرْعِزاء » إذا خففت مددت وإن شددت قصرت (١٤) ، وكذلك القُبَّيْطَى والقُبَيْطاء : « إذا خففت مددت وإن شددت قصرت » (١٥) . وغيرهما كثير .

والمحاولة التى نحاولها هنا لتفسير التشديد فى ضوء ظاهرة النبر ، إنما هى مبنية على أساس تقصير البنية نتيجة لتسكين الآخر ، مما يترتب عليه تطور فى النبر

---

(١٤) الصحاح (رعز) .

(١٥) المصدر السابق (قبط) وهو نوع من الحلوى .

أو بقاؤه . ولهذا سيفيدنا هنا قول اللغويين : « إن شدّدت قصّرت » ، وفى القصر تقصير للبنية كما هنا . وقد صنفت الكلمات الواردة فى الكتب الثلاثة على أن التشديد فيها لحن إلى عدة مجموعات ، تتفق كل منها فى التركيب المقطعى . وسأفسر كلا منها فيما يلى :

(أ) تشديد أواخر الكلمات : قَرْقَل ، ورَل ، قَبْو ، عند أهل الأندلس وصقلية ، سببه النبر على المقطع الأخير ، وفيما يلى تفسير ذلك :

كلمة : قَرْقَل مكونة فى الأصل من المقاطع الثلاثة الآتية :

مقطع متوسط مغلق (قَرْ) + مقطع قصير مفتوح (قَ) + مقطع متوسط مغلق (لٌ) ،

والنبر هنا واقع على المقطع قبل الأخير ، وهو (قَ) . ثم حدث فى الكلمة تطور هو حذف التنوين وتسكين الآخر ، فتغيرت مقاطعها إلى : مقطع متوسط مغلق (قَرْ) + مقطع متوسط مغلق (قَلْ) .

ويبدو أن النبر هنا بقى فى موضعه أى على (قَلْ) ولوقوع النبر على المقطع الأخير لا بد أن يكون المقطع إما : قَلّ ، بالتشديد ليكون المقطع مزدوج الإغلاق ، وإما : قَال بإطالة حركة القاف ليكون المقطع طويلا مغلقاً ، والذى حدث هو الأول .

أما كلمة ورل فهى فى الأصل مكونة من المقاطع الثلاثة الآتية :

مقطع قصير مفتوح (وَ) + مقطع قصير مفتوح (رَ) + مقطع متوسط مغلق (لٌ) فالنبر هنا على المقطع الأول (وَ) .

وبعد حذف التنوين وسكون الآخر ، أصبحت الكلمة مكونة من مقطعين هما :

مقطع قصير مفتوح (وَ) + مقطع متوسط مغلق (رَلْ وقد تبع

هذا التطور انتقال موضع النبر إلى المقطع الأخير ، ولهذا شدد ليكون مثل (قَرّ) .

وكلمة « قَبْوٌ » أصل تركيبها المقطعى :

مقطع متوسط مغلق (قَبْ) + مقطع متوسط مغلق (وٌ) . فالنبر على (قَبْ) .

وبعد حذف التنوين وسكون الآخر أصبحت الكلمة (قَبْوْ) ووفقاً لما شاع فى الأندلس وصقلية من تحريك عين الثلاثى الصحيحة الساكنة صارت الكلمة : قَبُوْ . وصحب هذا التطور انتقال النبر إلى الإمام أى إلى المقطع (بُو) ووقوع النبر على المقطع الأخير هو الذى اقتضى تشديد الواو ليكون المقطع مثل (قَرّ) .

ومن تشديد آخر الكلمة بسبب النبر قول عامة الأندلس : « إصطَبِلّ » فأصل هذه الكلمة (إصْطَبْل) مكون من المقاطع الآتية :

مقطع متوسط مغلق (إصْ) + مقطع متوسط مغلق (طَبْ) + مقطع متوسط مغلق (لٌ) .

فالنبر هنا واقع على المقطع قبل الأخير ، أى طَبْ . وبعد سقوط التنوين وسكون الآخر أصبحت الكلمة مكونة من المقطعين : إصْ — طبلْ . ويبدو أن الباء حركت للتخلص من التقاء الساكنين ، فأصبحت مقاطع الكلمة :

مقطع متوسط مغلق (إصْ) + مقطع قصير مفتوح (طَ) — مقطع متوسط مغلق (بِلْ) وصحب هذا التطور انتقال النبر إلى المقطع الأخير ، وانتقال النبر يقتضى تشديد اللام لتصبح (بِلّ) مثل قَرّ .

(ب) لحظت أن من الكلمات التى وقع فيها اللحن عن طريق التشديد ، مجموعة تتفق فى هذه الصفات :

١ — تنتهى بياء بعدها هاء التأنيث .

٢ — تقع قبل الياء كسرة .

هذه المجموعة هى : دِيَّة ، رِيَّة ، نَدِيَّة ، مُغَنِّيَّة ، مُسترخِيَّة ، مُستوِيَّة ، مُلْتَوِيَّة .

فالياء فى هذه الكلمات مشددة عند أهل صقلية وأهل المشرق ، بينما هى مخففة فى اللغة الفصحى . فما السر فى تشديد الياء فى هذه المجموعة ؟ .

لقد انتهى بحثى إلى أن سبب هذا التشديد هو وقوع النبر على المقطع السابق على المقطع الذى فيه الياء . ووقوع النبر على الصوت يطيله ، ومن حيث إن صوت اللين فى هذا المقطع كسرة كما بينا ، فإطالته تعنى تكوين ياء ، ثم تدغم هذه الياء فى الياء المجاورة فيحدث التشديد . وفيما يلى تفسير ذلك :

التركيب المقطعى لكلمة « دية » كان فى الأصل هكذا :

مقطع قصير مفتوح ، صوت اللين فيه كسرة (دِ) + مقطع قصير مفتوح صوته الساكن ياء + مقطع متوسط مغلق (ةْ) . فالنبر هنا على المقطع الأول وهو : (دِ) .

وبعد حذف التنوين وتسكين الآخر أصبحت الكلمة مكونة من المقطعين : (دِ + يَهْ) وظل النبر فى موضعه على (دِ) ، ولكنه بعد تقصير الكلمة أثر فى طول الصوت المنبور . ومعنى طول الكسرة تكوّن ياء ، ولمّا كانت الياء واقعة بعدها حدث بينهما إدغام كان مظهره هذا التشديد فى الياء .

وكلمة « مغنية » كانت مكونة من المقاطع الآتية :

مقطع قصير مفتوح (مُ) + مقطع متوسط مغلق (غَنْ) + مقطع قصير مفتوح ، صوت اللين فيه كسرة (نِ) + مقطع قصير مفتوح صوته الساكن ياء + مقطع متوسط مغلق (ةْ) .

فالنبر هنا على المقطع (غَنْ) لأن المقطع الواقع قبل الأخير قصير وقبله مقطع قصير أيضاً (١٦) .

وبعد حذف التنوين وسكون الآخر أصبحت مقاطع الكلمة أربعة بدل خمسة هي :

(مُ – غَنْ – نِ – يَهْ) ، وقد اقتضى نقص مقاطع الكلمة انتقال موضع النبر إلى الأمام، فأصبح على المقطع قبل الأخير وهو (نِ) ووقوع النبر على هذا المقطع يطيله ، ومن حيث إن صوت اللين فيه كسرة ، فإن طولها يكون ياء ، وإذا كانت مجاورة للياء أدغمتا فكان التشديد، وهكذا بقية الأمثلة .

• • •

(١٦) راجع في موقع النبر في هذه الحالة ، الأصوات اللغوية : ١٢٠ .